أضواء من القرآن الكريم في رحاب ديوان ابن الجنان الأندلسي

المدرس المساعد
مسعود باوان بوري
bavanpoor@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور
علي صياداني
sayadani@azaruniv.edua.

جمهورية إيران الإسلامية
جامعة الشهيد مدني بأذربيجان - كلية الآداب

المدرس المساعد
نرجس لرستاني
lorestani@gmail.com

المدرس المساعد
حديثه متولي
M0tvali@gmail.com

جمهورية إيران الإسلامية
جامعة جرمسار الحره – كلية الآداب

١- المقدمة:

قد أصبح القرآن الكريم كنموذج خالد لكثير من الشعراء و الأدباء منذ زمن نزوله إلى أيامنا الحاضر والسبب لهذا لأنه وحي من الله سبحانه وكذلك شموله على الجماليات اللفظية والمعنوية التي قد خرجت عن نطاق الإتصاف. فاستمتع أصحاب الشعر والأدب من ذخائر ألفاظه ومعانيه اللانهائية وفقا لذوقهم ومقدراتهم في كل عصر من العصور. يجب أن لا ننسي التأثر من الثقافة الساحقة للمجتمع أمر أظهر من الشمس، فكل أديب مسلم قد تأثر من التراث الثقافي - الإسلامي من حين إلى حين، متنبها أو غير متنبه بمجتمعه، تراث قد بني على شاكلة القرآن الكريم، من سالف الأوان دراست تأثير القران الكريم في أفكار الشعراء المسلمين وآرائهم وكيفية استخدام أبعاد لفظية ومعنوية من جانبهم أدّت إلى اهتمام باحثي الأدب. فمن الواضح بأن عباراتهم وتعبيراتهم قد تأثرت من هذا الكتاب الخالد، تأثرا نراه في إطار المباحث المختلفة كمثل التضمين، التلميح، الإشارة والإقتباس وكذلك على صعيد نقد السرقات والمعارضات والخلافات(١).

إن القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية منذ قديم وهي سبب بقائه. لقد تمكن هذا الكتاب المقدس تطور المجتمع الإنساني والمضامين الأدبية القديمة البالية إلى القيم الإنسانية الراقية وتنوير التفكر والتعقل. ولقد تأثر الشعرا والأدبا الكثيرون منه تأثرا بالغا وتيّموا

لمضامينه العالية ومفرداته كاللوالي المضيئة. واقتبسوا من صورة الرائعة ومحتوياته الراقية وآرائه المضيئة في المجالات المنوعة والغايات المختلفة، ومن هنا اجتذبوا به ساحرين. ابن الجنان الاندلسي احد من الشعرا الذين اتخذوا القران الكريم وآياته الشريفة كمصدر رئيسياً لشعرهم. في قليل الأقل يوجد منه قصيدة تخلوا من الألفاظ القرآني أو صوره الجميلة. وفقا لأنه كان حافظا للقرآن فمن الطبيعي أن يستخدم المفردات القرآنية ومعانيه في شعره. إنه قام بتوظيف الآيات القرآنية خلال أبياته الشعرية وكذلك عند مواضع مختلفة دونها، وأعرب عن تسلطه على الآيات مع إنشاء التغييرات في المفردات والضمائر و... بين حين وأخرى.

إذا رجعنا إلى المجلات المختلفة لم نجد مقالا حول حياة ابن الجنان الأندلسي أو شعره، وهذا يعود إلى أمرين: الأول: مجرى الدراسة كان صعباً على دارسي هذا المقال، والثاني: لقد استهدف الكاتبان فتح آفاق لتعرف الآخرين على هذا الشاعر مع تعريف شخصيته وشعره.

لقد قسم كاتبو هذا المقال تأثر الشاعر من القرآن إلى ثلاثة أقسام: الاقتباس، الحل والعقد، والتأثر المعنوي، وكذلك جاؤوا بالآية المتعلقة بكل بيت إلى جانبه لأجل تحليل كيفية تأثر الشاعر منها.

المقال هذا يتناول الرد على هذين السؤالين:

١- كيف تأثر ابن الجنان من المفردات القرآنية ومعانيها في شعره؟

٢- كيف استخدم الشاعر هذه المفردات ومعانيها في شعره؟

سيرة ابن الجنان الأندلسي الذاتية والأدبية:

هو أبوعبدالله محمد بن محمد بن احمد الأنصاري، المشهور بـ"إبن الجنان"، يجدر القول بأن هناك عدة أشخاص ذات هذا اللقب بالأندلس. لقد قيل فيه إنه كان أفضل من زملائه، وحصل على مكانة مرموقة في عصره. لا يوجد من ولادة الشاعر ومعيشته خلفية تأريخية، إلا أنه قد عاش في القرن السابع، عصر الموحدين، وشاهد اهتزازهم وهزيمتهم، وقد هاجر إلى المغرب عام ٦٤٠ ق. كان ابن الجنان يود أبيه تمام الود ورثاه في ديوانه (قصيدة ٢٧).

إن الشاعر قد أشار إلى تعلمه القرآن خلال ديوانه، ويرى تأثره في شعره.

أيـــامَ علمنـــي التنزيـــلَ يمنحنـــي منـه الهـدى وعلـى أخـذي لـه اللطفـا[٢]

كان ابن الجنان من علماء عصره المشهورين، وكان حاذقا في الشعر والنثر. تطرق الشاعر إلى معارضة على ابن الجهم والمتنبي في قصيدتي ١٦ و١٨ من ديوانه. هناك خلافات كثيرة في سنة مماته، وقد ذكرت التواريخ منوعة كمثل: ٦٠٤ ق- ٦٤٦ ق، وكذلك قبل كتابة كتاب ابن المرابط (٦٤٨ ق)، وفي إطار كلي مات بين سنة ٦٤٦ و٦٤٨ ق[٣].

ديوان ابن الجنان:

إنه لم يكن من الشعراء المشهورين فلم نلاحظ دراسات وافرة حول ديوانه. وفي كتب قديمة لم يشر أي شخص إلى جمع شعره ولم يدون ديوانه. ولكن شارح ديوانه أشار إلى مصادر جمع شعره وأضاف بأن لم يكن يهتم كثير من الباحثين والدارسين إلى سيرته الذاتية فهذا قد واجه الكاتبين صعوبة. إن الشاعر قد قام بمضامين الشعر القديم كلها في ديوانه، وأغمض عينيه عن الإتيان بموضوعات تعارض دينه وأكثر مضمونه الشعري هو المديح النبوي. إن الديوان الذي تم دراسته في هذا المقال، هو ديوان مشتمل على ١٩٢ صفحة والذي تطرق إلى تحقيقه وشرحه الدكتور منجد مصطفى.

٢- أساس الدراسة:

٢-١. الاقتباس والتضمين

الإقتباس من (قبس) من ناحية لغوية بمعنى جمرة من النار استيضاءً وحرارة[٤] وفي المصطلحات الأدبية كذلك: ((إن المتكلم يأتي خلال النظم أو النثر بعبارة من القرآن أو من الأحاديث كمصدر التحدث الرئيسي ثم يتابع كلامه))[٥] في هذا المنهج نرى الشاعر مستخدما العبارة القرآنية في نفس إطارها، دون أي تغيير أو يأتي بها مع التغييرات الضئيلة في الأوزان أو القوافي التي لا تؤخذ عليها.[٦] ((إن الاقتباس هو اشتمال الكلام على شيء من القرآن والأحاديث))[٧]، ولكن الشاعر ((عليه بلوغ الكلام إلى المستوى الذي يعرف منه الأخذ والاقتباس قد جرى في القرآن والأحاديث))[٨].

أما التضمين فهو مصدر للتفعيل وجاء منن جذر (الضمن)، بمعنى الوضع والجعل، ولكن اصطلاحا هكذا: ((في البديع له هذا المعني: إتيان الشاعر بآية من الآيات القرآنية أو

حديث من الأحاديث المختصة بالمعصوم عليه السلام أو شطر، بيت، أو بيتين من الشعراء والكتاب السلف أو المعاصرين، في شعره))[٩] ولكن المنهج هذا في استخدامات قرآنية أو روائية يطلق بإتيان قسم من آية واحدة أو كلها وكذلك ذكرها في شطر شعري أو عبارة.))[١٠] لقد قام ابن اثير بتعريف التضمين هكذا: ((إنه مزج بين كلام الشاعر وبين كلام الآخرين بغية التوكيد على المعنى المراد في بال الشاعر))[١١].

إن ابن الجنان أضاف أثناء المدائح النبوية في تعريف الرسول ﷺ قائلاً: إنه شخص يلوذ الناس بعامتهم إليه ويرجى شفاعته واستخدم هنا من ((يوم الحساب)) الذى يعد من الألفاظ القرآنية: ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (ص/١٦).

ذاك الـــذي يـــأوي لظـــل لوائـــه يـــوم الحســـاب جماعـــة التبعـــاء[١٢]

في بيت آخر يقول الشاعر: إن الصباح قد إنجلى للحكماء ولكن قلبه لم يحصل على الحكمة والبصيرة. فاقتبس من الألفاظ القرآنية الراقية مرة أخرى مشيرا إلى الجملة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (الضحى/ ٢)

فواحربـــا لاح الصـــباحُ لمبصـــر وقلبـي لـم يبصـرْ سـوى الليـل اذ سـجا[١٣]

إن الشاعر يعتقد أن الله سبحانه وتعالى يسبب السهولة عند كل الصعوبة وينتهى السعي والمثابرة إلى النجاح، والذي يهمنا هنا استخدام المصطلحات القرآنية من جانبه ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الانشراح/ ٦)

أ لـــم يعـــد الله الكـــريمُ بفضـــله مع العسر يسرا ينجح السعي والقصدا[١٤]

لقد يتمنى الشاعر لقاء المتلقي لشعره في جنة وهو رسول الله ﷺ ثم يشير إلى((روضات الجنات)). ﴿والذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ (الشورى/ ٢٢).

لـــولا الرضـــا ورجاؤنـــا أن نلتقـــي فـــي روضـــة الجنـــات حيـث الموعـد[١٥]

ويبدو الشاعر موظفا الأخرى من المفردات القرآنية في وصف أحد الكبار وذكر مصباح يستضيء إلى الصباح. ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر/ ٥).

مصـــابيح ليـــل عنـــد بـــاب ملـــيكهم توفـــد أضـــواءً الـــى مطلـــع الفجـــر[١٦]

٢-٢. العقد والتحليل:

العقد هو عبارة عن جعل النظم في إطار النثر بشكل كامل، ولا بشكل إقتباس، ومن شروطه هو استخدام كل مفردات النثر أو أكثره وكذلك يستطيع الشاعر يضيف إليها أو يقلص منها بعض الشيء حتى يمكن له الدخول في وزن الشعر[١٧] وأما الحل أو التحليل هو الفتح لغة وعند مصطلحات الأدباء بمعنى أخذ مفردة من آية من الآيات القرآنية الشريفة أو حديث من الأحاديث، أو شعر من الأشعار أو مثل من الأمثال والحكم مع إخراجه من وزنه الرئيسي أو شكله الأساسية إما كاملا وإما ناقصاً[١٨] قد حدث هذا في عدة أشكال وحاولنا التعبير عنها بصورة منفصلة عن الأخرى.

٢-١-١. الحذف والتبديل

لقد أشار في القسم هذا إلى أبيات قد ذكر الشاعر المفردات القرآنية الشريفة التي غيّرها في الظاهر. إنه يطلب من المتلقي في البيت التالي كي يسأل الله منيبا إليه ومتوسلا الأسماء الحسنى. قد أخذ هذا المضمون من هذه الآية: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الاسراء/١١٠) وفي البيت التالي تبدل فعل أمر لصيغة الجمع إلى الأول والأسماء الحسنى إلى حسنى من الأسماء:

وادع الإلـــــه تضـــــرعاً وتخوفـــــا وأســـأله بالحســـنى مـــن الأســـماء[١٩]

إبن الجنان يريد من الناس الدقة في آثار رحمة الله في خلق الكون وهو يعتقد إن هذا الموضوع يثير إعجابهم إثارة وقد استفاد من ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم/ ٥٠) ولكن يجدر القول بأن الشاعر قد غير ((آثار رحمة الله)) إلى ((لآثار رحماه))

فضـــلاً مـــن الله أولانـــا الجميـــل بـــه فـــأنظرْ لآثـــار رحمـــاه تـــرى عجبـــا[٢٠]

قضية معراج النبي ﷺ تعد من إحدى مكتسبات فنية للشعر خاصة في المدائح النبوية؛ والشاعر أشار إلى هذه خلال شعره ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الاسراء/ ١) ونرى البيت الشعري في التالي قد تحول ((أسرى ليلا)) إلى ((سار في الليل)) و((بعبده)) إلى ((سيداً)).

سلام على من سار في الليل سيدا فزار من البيت المقدس مسجداً(٢١)

أعلن إبن الجنان في صديقه بأن شاهدا على الصديق علمه، ولكن الشاعر يعود فجأة ويعتبر حضور الله كشاهد يكفيه وأنكر شاهده الأول. هذا ما نراه في الآية هذه: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (فتح/ ٢٨) وأما في البيت جاء ضمير((ها)) بدلا عن ((الله)) سبحانه وتعالى:

شهودي فيه علمُه وكفى به شهيداً عظيماً لا يدافع بالجحد(٢٢)

لقد اختص إبن الجنان قسما وافرا من أشعاره إلى مدح رسول الله ﷺ؛ هو يقدم أحر تحياته وأطيبها إليه ﷺ ويقول: إن الله طهر قلبه ﷺ تطهيرا وشرح صدره شرحا، المعنى هذا يستخدم من هذه الآية: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الانشراح/ ١) وتبدلت الآية إلى ((شرح الصدر)):

سلام على من طهر الله قلبه فأصدر شرح الصدر منه واوردا(٢٣)

٢-١-٢. النقص، الإضافة، التحويل

في هذا القسم أشرنا إلى أبيات تحول شاعر ظواهرها وأضاف مفردات إليها بعد ما تم أخذها من القرآن الكريم من جانبه. وهذا ما ندركه بإمعان النظر إلى الأبيات. إن البيت الشعري أشار إلى الألطاف الإلهية لنزول المطر على الأرض وحسبه أداة لإثارة الأرض وابتهاجها. هذا ما حصل عليه الشاعر في المضمون وأظهره ارتكازا على التحويل والتغيير في الآية: ﴿تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (الحج/ ٥) نلاحظ العبارة ((هامدها من بهجة)) أضافت وتغيرت ((اهتزت)) إلى ((اهتز)) و((ربت)) إلى ((ربا))

أحيا البلاد وارواها برحمته فأهتز هامدها من بهجة وربا(٢٤)

أعلن الشاعر هو من متابعي الإسلام ويعتقد إذا تكون الرأفة الإلهية ترفع المشاكل والكوارث وهي سبب للخروج عن الضيق، التي تعد من مفاهيم القرآنية ﴿مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق/ ٢) فقد تحولت العبارة ((يتق الله)) إلى تقوى الله وأضافت العبارة ((من كل المضايق)) إلى البيت الشعري:

ودينـــي بتقـــوى الله، يجعـــلْ بلطفـــه لـــك الله مـــن كـــل المضـــايق مخرجـــا(٢٥)

٢-١-٣. الإضافة

هنا يواجه المتلقي إلى أبيات قد أضيفت إليها مفردات بعد ما تم أخذها من القرآن الكريم. إبن الجنان تحدث عن المديح النبوي ﷺ مرة تالية وأعتبره جاء حقا وهداية وهو الذي يساعده الله طوال الزمن. هذا ما يوجد في المضامين القرآنية ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ (القصص/٨٥) وأضاف إلى الآية ((بالحق)):

ســلام علــى مــن جــاء بــالحق والهــدى ومــن لــم يــزل بــالمعجزات مؤيــدا(٢٦)

نجد الشاعر عندما يحمد الله مشيرا إلى توحد ذاته سبحانه وتعالى ومستخدما المصطلحات القرآنية: ﴿لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم/٢٧) هنا أضاف ((فلاندّ مشبه)) إلى الجملة ويكرر المعنى نفسه:

لـــه المثـــلُ الأعلـــى فـــلا نـــد مشـــبه ولا مثل في فضل تسامى عن الحصر(٢٧)

عند أنشد الشاعر المدائح النبوية ﷺ تطرق إلى مقارنة فيما بين الرسول ﷺ وبين يوسف عليه السلام وكان يريد التعبير عن تعرف الرسول ﷺ يوم القيامة على يوسف عليه السلام عبر رائحته العطرة: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف/ ٩٤) فقد تغيرت الجملة ((فصلت العيرُ)) إلى ((أقفت)) و((من مصر)) أضاف إلى البيت بالنسبة للآية:

كمـــا وجـــدتْ فـــي أرض كنعـــان نفحـــة ليوســفٌ إذ أقفــتْ العيــرُ مــن مصــر(٢٨)

ابن الجنان قد حسب النبي ﷺ خير الناس بعامتهم وهذا مصير قدر الله سبحانه تعالى له وكمثل هذه القضايا ليست من التهم وبهتان: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ (يوسف/١١١) و نرى إضافة ((ذلكم)) بالنسبة للآية:

كرمتْ مناشي أحمد خير الورى وجرى له القلم العليُ بما جرى

ما كان ذلكم حديثا يفترى[٢٩]:

٢-٢. التأثير المعنوي

هناك أبيات استخدم الشاعر من مضامين القرآن الكريم لإنشادها ومن هذه المضامين الكثيرة ذكرنا بعض منها جنبا إلى بيت يناسب الآية. إن الشاعر يريد من الإنسان أن يرجو الله سبحانه تعالى في الأبيات التالية لأن اليأس ليس له طريق إلى الرجاء وكذلك يطلب منه الالتجاء إلى الله عند كل مصيبة أو كارثة. ونشاهد الإستعاذ بالله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أيضا: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل/٩٨)

علق رجاءك بالإله فإنه ... ما خاب في فضل الإله رجاءُ
والجأ اليه اذا عرتك ملمة ... يعصمك إيواء (له) ولجاء[٣٠]

ابن الجنان يشير إلى العفو الإلهي وأن يغفر ذنوب عباده ونحن نجد المضمون هذا مرات عديدة في القرآن الكريم كمثل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ (الانعام/ ١٣٣) و﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾ (الغافر/٧)

واستوهب الغفران منه فإنه ... يعفو ويغفر زلة الخطاء[٣١]

إن الشاعر ذكر العلم الإلهي اللانهائي في أناشيده ويوجد المفهوم المذكور في القرآن الكريم أكثر من مرة، كمثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران/١١٩)

سبحانه وتعالى لا نحيط بما ... أخفاه علما ولا ندري بما حجبا[٣٢]

في الأبيات التي سبقت، إبن الجنان يتأكد على أن عظمة الله سبحانه وتعالى خارج عن نطاق فهم الناس واستدراكهم وظنّ لا يمكن له وصف عظمة الله وكذلك حسب شكره أمام نعم الله ضئيل جدا. بناءً على هذا إن الأبيات التالية تتعلق بالآية علاقة معنوية: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الانبياء/ ٢٢)

يا من تقدس عن أن ... يحيط وصف بذاته[٣٣]

حبيـــب تعـــالى أن يحـــيط بوصـــفه مقـــالي وأن يحصـــى محامـــده شـــكري
تنـــــزه عـــــن إدراك واصـــــف فللعجز في الادراك يجري الذي يجري(٣٤)

كان ابن الجنان مؤمنا بالله سبحانه وتعالى إيمانا ولهذا قام بترويج اعتقاد يحتوى على أنه كل الصعوبة تحل بيد الله ويحذر الشاعر نفسه بعدم إدخال أي غم وحزن في حياته مادام الله موجودا فهو أبدي. فالمعنى المقصور يوجد في الآية: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الانشراح/٦)

وقلـــتُ لنفســـي: لا تراعـــي لأزمـــة فكـــمْ نفـــسّ الـــرحمن كربـــا وفرّجـــا٣٥

إن الإيمان بوجود الرسول ﷺ قبل أن يخلق آدم عليه السلام من الاعتقادات الشائعة عند العرفاء والصوفية وكذلك قد انعكس الضوء على كتابات ابن الجنان وهو قد صلى على حضرته ﷺ مع أطيب التحيات. وأيضا أشار الشاعر إلى قضية سجود الملائكة لآدم عليه السلام التي جاءت في القرآن الكريم: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر/ ٣٠)

ســـلام علـــى النـــور الـــذي كـــان كامنـــا بـــآدم اذ خـــرّ الملائـــك ســـجدا(٣٦)

إن الموت يكون من المعتقدات الإسلامية الشائعة، فابن الجنان قد أتى بموضوعه في البيت الأدنى وذكر نهاية كل موجود هو الموت الذي نرى في القرآن الكريم عدة آيات حوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الانبياء/ ٣٥)

لكننـــــا نرضـــــى ونعلـــــم أننـــــا للمـــوت يولـــد كـــل حـــي يولـــدُ(٣٧)

والشاعر علم أن موته حاسم وزمنه قد سجل من قبل وفي القرآن الكريم جاء هذا الزمن تحت العنوان: ((أجل مسمى)) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الانعام/ ٢)

كـــل الـــى أجـــل يجـــرى فمصـــرعه ويومـــه فـــي كتـــاب الله قـــد عرفـــا(٣٨)

إن التوبة مفهوم آخر من المفاهيم الإسلامية يذكر القرآن الكريم ويتأكد عليه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/١٦٠). وتنبهنا الآية بأن التوبة تذهب الذنوب ذهابا وتطهر نفوسنا وكتابنا تطهيرا، هذا ما قصد الشاعر إليه:

وكم من يد بيضاء اسدى لذي تقى بتوبته فيه الصحائف بيّضا[٣٩]

والموضوع الآخر بالنسبة للمعتقدات الإسلامية هو الإيمان بالقيامة الموجودة بالقرآن الكريم أيضا فالشاعر اهتم بها وذكر أهوال القيامة أشد فزعا وخوفا من الأهوالات الدنيا: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (ابراهيم/ ٥١) و﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم/ ٣٩)

وكل روع فأمن حين تنسبه لروع من سؤال الله قد وقفا[٤٠]

أشار ابن الجنان إلى قضية التقدير قضية تشملها الآيات الكثيرة في القرآن الكريم كمثل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩) و﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر/٢١). الشاعر يعتقد بإنجاز كل ما شاء الله وليس سوى ذلك

فحسبه الله لا يشكو إلى أحد ان الذي شاءه الرحمن مفعول[٤١]

في البيت التالي بالجانب أن الشاعر قد ذكر الرسول ﷺ كشفيع لنفسه يوم القيامة - موضوع كرره خلال مدائحه النبوية ﷺ - في جانب أخر يصف أصحاب النار وهذا ما نراه كثيرا في القرآن الكريم أي وصف أهل العذاب ﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الطور/١٨)

فهو الشفيع الذي أرجو النجاةَ به من الجحيم إذ الكفار كالحمم[٤٢]

نشاهد ابن الجنان موظفا الموضوع هذا أي إحياء العظام البالية من جديد بموضع القيامة الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس/٧٨)

نضرة يُصبح فيها ناعمَ العظم الرميم[٤٣]

قد اعتبر ابن الجنان الصبر كأفضل العلوم كافة والصبر من مواضيع كثيرة الاستخدام في القرآن الكريم كمثل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود/١١)

فأعلمْ الصبر وعلم فهو من خير العلوم[٤٤]

قد أشار الشاعر إلى مولد عيسى عليه السلام وكونه نبيا في البيت التالي: ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف/ ٦)

سلام على بشرى المسيح بن مريم فقد صدقت للصادق الوعد موعدا[٤٥]

الحصيلة:

يمكن تلخيص النتائج للمقال هذا بالشكل التالي:

العصر المملوكي عصر نرى الشعراء في إطار القسمين بناءً على تسلية خواطرهم وعزاءها؛ قسم اهتم بلهو ولعب وقسم آخر مال إلى المدائح النبوية ﷺ والتوسل إليه. إن ابن الجنان من الشعراء الذين تطرقوا إلى المدائح هذه وتجنبوا عن لهو ولعب بمسلكه الدينى. لقد استخدم الشاعر المفردات القرآنية ومعانيها خلال ديوانه. إنه وظّف نفس الآية مرة، وغيّرها بعض التغيير مرة أخرى، وفي الأخير قام بتوظيف المعاني القرآنية ومضامينها في أحسن حالة ممكنة في قسم آخر من أبياته الشعرية.

الملخص:

إن الآيات القرآنية ومضامينها ذات خلفية واسعة في الأدب عامة وفي الشعر خاصة، وهذا قبل كل شيء يعبر عن التأثير البالغ من جانب هذا الكتاب المقدس السمائي في الشعراء والأدباء. الذين كانوا قد صاحبوا الثقافة الإسلامية ومعارفها، وقد قاموا بإظهار الجماليات اللفظية والمعنوية للقرآن الكريم في شعرهم. ابن الجنان الأندلسي من شعراء القرن السابع للهجرة الذي قد عاش في عصر الموحدين. لقد اختص ابن الجنان قسماً لا بأس به من ديوانه للمدائح النبوية. بناءً على أنه كان من حفاظ القرآن فمن الطبيعي أن يؤثر القرآن عليه فقد استخدم المفردات القرآنية الساحرة ومعانيه الجمالية. نرى الشاعر مقتبساً الآية القرآنية نفسها، أو متطرقاً إلى تغييرها بتوظيف صنعة الحل والعقد، أو مستخدماً المفاهيم القرآنية من مضامينه العالية في جانب آخر من شعره. إن كاتبي الدراسة هذه يقصدون إظهار التأثير القرآني في ديوان ابن الجنان الأندلسي مع تبيين نماذج من هذه الأبيات. يجدر القول إن الشاعر لم يكن من المشهورين فتبعاً لهذا قلت المصادر حوله، التي واجهتنا مشاكل عديدة في كتابة المقال هذا.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، الديوان، ابن الجنان الأندلسي، الإقتباس، الحل، المعنى

Abstract

Using Quran verses and concepts in poetry and literature, has a long history which demonstrates the impact of the holy book on the poets and scholars. The poets and scholars who have been acquainted with Islamic wisdom and culture, have reflected the literal and spiritual beauty and gentleness of Quran in their poems.

Andalusian Ebne Jananis one of the Poets who lived in Vth Hijri century in the age of theists. A major part of his poems is devoted to the prophet. According to the fact that the poet was retentive of Holy Quran, it is obvious that the book has influenced on the poems and its theurgist terms and gorgeous concepts are used in the poems. In some of the poems, Andalusian Ebne Janan has adapted a whole Quran verse. In addition, he has used resolution and adoption industry to alter them. In some other parts of the poem, he has utilized a precious concept of Quran. In this study, we intend to mention some of these verse to manifest the effect of Quran in his poems. However, anonymity of the poet and lack of resources regarding him, acted as an obstacle in this study.

Keywords: Holy Quran , Andeulusian Ebne Janan Poems adoption , resolution , concept.

هوامش البحث

(١) راجع: عزام، ٢٠٠١: ٤٢.

(٢) ابن جنان، ١٢٧:١٤١٠.

(٣) راجع: إبن الجنان، ١٧:١٤١٠-٩.

(٤) الزمخشري، ١٩٨٨: مادة قبس؛ ابن منظور، لاتا: مادة قبس.

(٥) راشد محصل،١٣٨٠: ١٩.

(٦) راست‌گو، ١٣٧٦: ٢٩.

(٧) الحلبی،١٩٨٠: ٣٢٣.

(٨) مطلوب، لاتا، ج ١: ٢٠٤.
(٩) الحلبي، ١٣٧٤:٦٠.
(١٠) راشد محصل، ١٣٨٠: ٢١.
(١١) ابن اثير، ١٩٥٩: ٢٠٣.
(١٢) ابن‌جنان، ١٤١٠:٧٢.
(١٣) ابن‌جنان، ١٤١٠:٧٧.
(١٤) ابن‌جنان، ١٤١٠:٧٩.
(١٥) ابن‌جنان، ١٤١٠:٩٨.
(١٦) ابن‌جنان، ١٤١٠:١١٠.
(١٧) الهاشمي، ١٣٨٠: ٤٥٨؛ همائي، ١٣٦١: ٣٤١.
(١٨) راستگو، ١٣٧٦: ٥٨؛ مصاحب والآخرون، ١٣٨٠: ذيل حل.
(١٩) ابن‌جنان، ١٤١٠:٧١.
(٢٠) ابن‌جنان، ١٤١٠:٧٣.
(٢١) ابن‌جنان، ١٤١٠:٨١.
(٢٢) ابن‌جنان، ١٤١٠:٩٩.
(٢٣) المصدر نفسه: ٨١.
(٢٤) المصدر نفسه:٧٣.
(٢٥) المصدر نفسه:٧٨.
(٢٦) المصدر نفسه:٨٠.
(٢٧) المصدر نفسه:١٠١.
(٢٨) المصدر نفسه: ١١٠.
(٢٩) المصدر نفسه:١٥١.
(٣٠) المصدر نفسه:٧١.
(٣١) المصدر نفسه:٧١.
(٣٢) المصدر نفسه:٧٢.
(٣٣) المصدر نفسه:٧٤.
(٣٤) المصدر نفسه:١٠٩.
(٣٥) المصدر نفسه:٧٨.
(٣٦) المصدر نفسه:٨٢.
(٣٧) المصدر نفسه:٩٨.

(٣٨) المصدر نفسه:١٢٢.

(٣٩) المصدر نفسه:١١٤.

(٤٠) المصدر نفسه:١٢٣.

(٤١) المصدر نفسه:١٤٣.

(٤٢) المصدر نفسه: ١٥٦.

(٤٣) المصدر نفسه: ١٥٩.

(٤٤) المصدر نفسه: ١٦٠.

(٤٥) المصدر نفسه: ٨٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الجنان. (١٤١٠)، ديوان، جمعه د. منجد مصطفى بهجت، بغداد: مطابع التعليم العالي.

٣- ابن أثير، ضياء الدين. (١٩٥٩)، المثل السائر في ادب الكاتب و الشاعر، تحقيق احمد الحوفى، القاهرة: دار النهضة العربية.

٤- الحلبي، شهاب الدين محمود. (١٩٨٠)، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق اكرم عثمان يوسف، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

٥- الحلبى، على اصغر. (١٣٧٤)، تأثير القرآن والأحاديث في الأدب الفارسي، الطبعة الثالثة، طهران: نشر اساطير.

٦- راشد محصل، محمد رضا. (١٣٨٠)، أضواء من القرآن والأحاديث في الأدب الفارسي، طهران: آهنگ قلم.

٧- راستگو، سيد محمد. (١٣٧٦)، ظهور القرآن والأحاديث في الأدب الفارسي، طهران: سمت.

٨- الزمخشرى، محمد بن عمر. (١٩٨٨)، أساس البلاغة، الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة.

٩- عزام، محمد. (٢٠٠١)، النص الغائب، بيروت: دار المعارف.

١٠- مصاحب، غلام حسين والآخرون. (١٣٨٠)، دايرة المعارف الفارسية، طهران: أمير كبير.

١١- مطلوب، احمد. (لاتا)، معجم النقد العربي القديم، بغداد: دار الشئون الثقافة.

١٢- الهاشمي، احمد. (١٣٨٠)، جواهر البلاغة، الترجمة: محمود خورسندي وحميد مسجد سرايي، الطبعة الثانية، طهران: نشر فيض.

١٣- همايي، جلال الدين. (١٣٦١)، فنون البلاغة والصناعات الأدبية، الطبعة الخامسة، طهران: انتشارات سخن.